

الثابت العجائبي

الحليل اللاشعورية

سبق أن ذكرنا أن الرقيب لا يسمح للزعات أن تعبر عن نفسها تعبيرا يخالف ما اصطلاح عليه المجتمع من قوانين وآداب ونظم ، وبيننا كيف يحدث الكبت في هذه الحالة .

ورأينا كيف أن الزعات المكبوتة لا تقف عند هذا الحد ، بل هي تحاول الظهور والتعبير عن نفسها بمختلف الطرق . ولكن الرقيب واقف بالمرصاد يبيدها من حيث أتت ، ويمنع ظهورها خوفا على الذات أن يصيبها مكروه من جراء ذلك .

ولذلك تلجأ الزعات إلى نوع من الحليل يطلق عليها اسم الحليل اللاشعورية تتنكر بواسطتها فتعبر عن نفسها تعبيرا ملتويا غير مباشر ، يظهرها للأنا بنير حقيقتها ويخضع الرقيب عن أمرها ، والحليل في مجموعها عبارة عن وسائل للتسوية والتسمية ، بعضها يؤدي بالإنسان إلى تصور بل نوعاته الفرعية ، إلى مستوى أعلى يوافق المجتمع ويشوز رضاه ، وبعضها من قبيل الاضطراب النفسي الذي يجعل الشخص شادا بعيدا عن الاتزان وفيما يلي تفصيل بعض هذه الحليل .

١ — الابدال (١) :

يقصد به نقل فكرة القيمة الوجدانية من فكرة إلى فكرة أخرى ، ففكرة الأم مثلا ذات قيمة وجدانية عند الطفل لما يصحب إدراكها من انفعالات مرتبطة بغرائزه . ولكن هذه القيمة الوجدانية يصح أن تنتقل إلى شخص آخر أو فكرة أخرى تحت شروط خاصة ، كأن يكون بينها وبين الأم تشابه في الصورة أو الوظيفة أو أي تشابه عارض . وفي اللاشعور خاصة عجيبة هي أنه يتغافل عن أوجه الاختلاف تفاولا تاما ، ويمسك بأوجه الشبه مهما كانت عارضة ، وتكون للفكرتين نفس القيمة عنده بناء على هذا التشابه العارض .

ونقل القيمة الوجدانية من فكرة الى أخرى يشبه تماما ما نلاحظه في أنفسنا
وغيرنا أحيانا، فقد يعود الأب متضايقا من معاملة رئيسه له في عمله، فإذا دخل
البيت وأحاط به أولاده ضحين، نهرهم أو أجاب أسئلتهم بلهجة غير ودية، مع
عدم وجود سبب مباشر يدعو الى ذلك .

وكما يلاحظ في كثير من الآباء الذين تسبب زواجاتهم معاملتهم ، فيسيئون هم
بدورهم معاملة الخدم والأولاد — أو الرؤساء الذين يسبب معاملتهم من هم فوقهم
فيسيئون معاملة من هم دونهم، وكذلك الأخوات الذين يسبب معاملتهم الأبوان
تسبب معاملة كبيرهم لصغيرهم، ففي كل هذه الأحوال نجد أن المعاملة التي كان
يجب أصلا أن توجه الى الرئيس أو الكبير وامتنع ذلك لأسباب واضحة، قد
وجهت الى هؤلاء الأفراد الآخرين عن طريق الإبدال .

بل إن هناك ما هو أكثر من هذا، فكثيرا ما تسبب معاملة الشخص ويشعر
بالغضب الشديد نحو المسمى إليه، ولكنه لا يستطيع أن يوجه إليه ما لقيه من الإساءة،
فيمسك بما يتفق وجوده من الأشياء أمامه ويلقيه الى الأرض كما لو كانت هي
المتسببة في غضبه، وكثيرا ما يختار شيئا سهل الكسر فيدمره تدميرا، ويجد
لذلك في نفسه راحة كما لو كان قد عاقب المسمى إليه فعلا. وكثيرون من الأطفال
يجدون في تدمير عرائسهم وألعابهم بديلا عن الرغبة في عقاب أوبريهم لما يشعرون
بغضبهم عليهم .

في كل هذه الحالات يحدث إبدال فيعامل شخص أو فكرة رثة بالمعاملة التي
كان الشخص يمتنى أن يعامل بها المسمى الحقيقي .

٢ — رد الفعل (١)

رأينا أن حل الصراع في حالة حصول الإبدال يكون على حساب القوى
الكابتة، إذ تظل الطاقة المستعملة في الإبدال هي الطاقة المستمدة من النزعات
المكبوتة. بعبارة أخرى أن الطاقة تسير في طريق مواز لطريقها الأصلي، ولكن
يحدث أحيانا عكس ذلك فيكون الحل مظهرا للقوى الكابتة

فالزعة البدائية عند الطفل نحو الظهور قد تُبدل فيجد لذة في أن يسمو على أقرانه جسما أو عقلا ، أو أن يبحث عن الشهرة أو البروز في مختلف النواحي .

أما إذا حل النزاع عن طريق رد الفعل ، فإن الرغبة في الظهور تكبت ويحل محلها ميل للرجل والآنزواء وإذلال النفس — وذلك السرور البدائي الذي يجده الأطفال في اللعب بالأقذار قد يتحول إلى رغبة في تشكيل المواد على اختلافها كما في الرسم أو النحت أو الطبخ . . . الخ

أما "رد الفعل" فإنه يكبت هذه الزعة ويكون بدلا منها زعة متطرفة ترمى إلى النظافة ، يصحبها خوف شديد من كل أنواع التلوث

فيظهر سلوك الشخص مظهر مبالغ فيه ضد اتجاه الزعة المكبوتة ، فمثلا ، كثير من العوانس يتشمن رائحة الزعة الجلدية في كل كلمة مهما كانت بريئة ، وفي كل فعلية مهما كانت غير مقصودة ، وما ذلك إلا لأن الزعة الجنسية عندهن قد كُبت ، وحلت محلها زعة مضادة تنفر نفورا مبالغا فيه من كل ما يصحح أن يشير إلى الجنس ولو بطريق التفریح البعيد ، وقد استغل كثير من الكتاب والروائيين هذا المظهر في رواياتهم — أما الزعة المبالغ فيها نحو النظافة وضد التلوث ، فهي أيضا من المشاهدات العادية ، فالشخص الذي يتشكك في كل شيء ويعتبره نجسا ، أو سببا محتملا لعدوى ، فيحمل في جيبه زجاجة الكحول يفسل بها يديه كلما صاغ غريبا ، أو لمس شيئا لا يعرف نصيبه من النظافة ، هذا شخص حدث عنده "رد فعل" لزعة اللعب بالأقذار التي تملكته وهو طفل ، وقد تكون القدرة المسادية رمزا للقدرة الخلقية ، فيجد النقل في محاربة الأعداء المسادية رمزا لمحاربة النزعات الغريزية "القدرة" ليشفي غليل القوى الكابتة . . .

ويجد كثيرا من الأشخاص بالغى القسوة ضد كل هفوة اجتماعية أو خلقية ، دأبى الشك في سلوك الآخرين ، وما ذلك إلا لأنهم هم أنفسهم يجتوون هذه النزعات في "لا شعورهم" وقد كونوا حوله ساجا مضادا هو هذه الزعة المبالغ فيها .

٣ — التكييف (١) :

في هذه الحالة يعبر سلوك الشخص عن كاتا النزعتين المكتبة والمكبوتة في وقت واحد ، ومما يوضح هذا قصة رأها المزارف بنفسه تلك ص في أن طفلا كان يصاحب أمه الى دكان للفاكهة ، وقد انصرفت عنه الأم فوقف أمام صندوق للتفاح ومد يده نحو التفاح ، ولكن قبل أن يلمسه سحب يده صرة أخرى . ولكن الأمر لم يقف عند هذا ، بل استمرت حركة يده جيئة وذهابا كرقاص الساعة ، واستمر يكرر هذه اللازمة الى أن شغل عنها بأمر آخر ، وكان يكررها حتى بعد انصراف نظره وذهنه عن التفاح . والمثال واضح فالحركة الأولى تعبر عن النزعة البدائية للحصول على ما يريد به غير نظر للظروف ، والحركة المضادة تمثل النزعة المضادة نحو المحافظة على ما اصطلمحت عليه البيئة من حق الملكية وحسن السلوك ، وكان كلا من النزعتين قد رضيت عن التعبير الرضى عنها بهذه الحركات المتبادلة . وهناك مثال آخر هو قصة كثيرا ما تُقص على سبيل الفكاهة في أكثر من أمة واحدة ، مضمونها أن شخصا كان يسير في الطريق متكهما مع زميل له ، وقد مر برجل من رجال الشرطة أثناء ذلك ، فسمعه الشرطي يقول " دى حكومة مغفلة " ، ولم يسمع شيئا خلاف ذلك . ولكنه لم يتوان في القبض على الرجل وتوجيه التهمة اليه باهانة الحكومة القائمة . ولكن الرجل احتج قائلا : أنا لم أقصد هذه الحكومة أبدا بل إني احترمها ، وإنما قصدت حكومة " كذا " الأجنبية . ولكن الشرطي لم يصدق ما سمعه منه وقال " لا تظن أنك تخدعنى بمثل هذا فأنا أعرف جيدا ما تقصد اليه ، حينما تقول حكومة مغفلة " . فالشرطي بتصرفه هذا إنما :

(١) يدافع عن الحكومة ويخدمها بقبضه على من يظن أنه أهانها .

(٢) وهو في الوقت نفسه يهينها ويحقرها لعدم تسليمه بإمكان توجيه تهمة التغفيل الى غيرها . وهو مخلص في نزوعه وغير شاعر بما في سلوكه من التناقض . ثم هناك قصة ذلك الواعظ الدينى الذى كان يؤم المساجد ويعظ الناس وعظا اشتهر أمره وقتا ما ، وكان هذا الواعظ يحض على الفضيلة ، غير أنه لم يكن يحض على الفضيلة بقدر ما كان ينهى عن الرذيلة . ولكن النهى عن الرذيلة يحتاج الى

وصفها ووصف مواطنها ومكائدها ، وما يدعيه الناس فيها من المذات . وكان كثير من الناشئين يذهبون الى مواظبة ، يتسمون فيها وصفه الشائق للرزيلة ، ويحسدون رضاء عن ذلك الوصف ، ويخرجون وهم يتسمون لأنهم سمعوا عن الرزيلة أكثر بكثير مما سمعوا عن الفضيلة ، وعرفوا عنها ما لم يكونوا يعرفون . والقصة واضحة فيما قصدنا اليه فالدرس الذي يعطيه هذا الواظ يقصد منه الى ارضاء رغبته الظاهرة الى الفضيلة والتقوى ، ولكن نزعته الى ضدتها تجد طريقها بالرغم منه الى الظهور في خلال كلامه ، فتدفعه وهو لا يدري الى وصف الرزيلة وصفا شائقا محببا للكثيرين ممن لا تهمهم الفضيلة في شيء .

ونذكر بهذه المناسبة ناحية مهمة أو خاصة مهمة من خواص العقل وهي "تناقض العواطف" (١) وهي تتلخص في أن العقل قد يشمل عاطفتين متناقضتين في وقت واحد موجهتين نحو موضوع واحد ، كما طفتى الحب والكراهية ، على شرط أن تكون إحداهما شعورية والثانية لاشعورية . بل إن هذا التناقض موجود دائما بحيث هناك شعور بالحب والتفاني نحو شخص ما ، فهناك نزعة لاشعورية نحو كراهيته ، بل إن الشعور بالتفاني في الحب كثيرا ما يكون ستارا يحجب ما يضمرة اللاشعور من كراهية وسوء نية .

وحيث نجد التفاني الشديد في إظهار الحب والمباينة فيه نحو أي كان ، فإننا نشابه في وجود ضده في الجانب اللاشعوري من العقل .

وللتحليل النفسي فضل اظهار هذه الناحية التي تفسر أمرين :

الأول — كيف أن كل ما يمر به الطفل من التجارب مع أبويه يترك أثرا في نفسه فما كان منها سارا أتى إلى تكوين الكراهية ، وبما أن العقل لا يشمل التناقض الظاهر في هذه الحالة فإن إحداهما تكبت وتصبح لاشعورية لا يحسها الشخص مطلقا .

الثاني — ما يظهر من التناقض في سلوكنا أحيانا نحو من نحب أو نكره — فنكره شخصا لأنه فاقنا وبلغ مبلغا لم نستطع الوصول اليه ، ونحن إنما نكرهه لأننا نعجب بما هو فيه ، ونتمناه لأنفسنا فنحن نحبه في صورة ما . ونحن إذ نشق بصديق

أو بحبيب ثم نجد منه ما لا يحقق الثقة نكرهه أشد النكره ، لأننا نجده أشد الحب في الواقع ، وهكذا نجد أن كل صديق لنا هو عدو محتمل ، وكل عدو هو صديق محتمل ، وقد تؤدي هفوة ضئيلة إلى الانقلاب من حال إلى حال آخر . وربما كان فهمنا لهذه الحقائق مساعدا لنا على بناء علاقاتنا الشخصية على أسس أثبتت . والواقع أن العلاقات المبنية على الفهم والتواضع في التقدير أبقى من العلاقات التي تصل فيها العاطفة إلى درجة مبالغ فيها من الشدة .

٤ - (التبرير) (١) :

نستطيع الآن أن نفهم أن سلوكنا كثيرا ما يكون نتيجة دوافع داخلية لسنا على استعداد لأن نصرح بها حتى فيما بيننا وبين أنفسنا . وأن هذه الدوافع كثيرا ما تقودنا إلى تصرفات متناقضة فنفعل اليوم ما أنكرناه بالأمس ، وأتى غدا بما نكره اليوم . والحياة العقلية كما قلنا تحتمل هذا التناقض على شرط ألا يكون ظاهرا ، ولذلك فنحن نفسر سلوكنا سواء لأنفسنا أم لغيرنا تفسيراً لا نرجعه إلى الدوافع الداخلية ، بل نضفي عليه ثوبا من الملتقى المعقول . كما لو كان هذا السلوك مبنيا على الحكمة والتفكير والتدبير . فنفسر التناقض بين أفعالنا تفسيراً يجعلنا نغطي هذا التناقض ونرجعه إلى أسباب تتعلق بتغير في الظروف وتبعده عن أن يكون تغيرا لاعلة له إلا تقلب أهوائنا ، وهذا هو ما نسميه بالتبرير فالإنسان يبرر استمساكه بالتدخين بأنه يهدئ الأعصاب مثلا ، مع العلم بأن معرفته بأنه مهدي للأعصاب لم تتأت إلا بعد أن تعود التدخين ، ويبرر كراهيته لشخص بما وجدته فيه من حطة ودناءة قد تكون وهمية ، وقد تكون الكراهية مبنية على وقوف هذا الشخص في طريق رغباته أو نزعاته ، ويبرر آرائنا السياسية والاجتماعية تبريرا منطقيا ، بينما نكون قد اعتدنا هذه الآراء لأسباب تتعلق برغباتنا الشخصية في بعض الأحيان . وهذا يدلنا على أن حياتنا ليست مبنية على المنطق بقدر ما هي مبنية على هذه الأهواء التي تدفعنا إليها الدوافع الداخلية ، والتي لا تزيد الاعتراف بها ، وخصوصا فيما بيننا وبين أنفسنا . ولن يتمكن الفرد أن يستخدم المنطق لأي درجة معقولة ، إلا عن طريق فهم دوافعه ونزعاته على هذا الأساس . وأمثلة التبرير كثيرة لا داعي لذكرها لأننا نراها أمامنا في كل آن .

٥ - (الاصباق) (١)

نجد أحيانا شخصا كثير التشكك في أمانة الناس دائم التفكير في حماية نفسه وحماية المجتمع من شرورهم ، لا يثق بخلق ولا يستطيع أن يأمن إلى أحد ، وهو في محاولة دائمة لنصب الشباك لهم ومحاسبتهم على ما يقترفون بالفعل أو بالنية .

والواقع أن مثل هذا الشخص يُخضع تحت هذا المظهر الشعوري نزعة لاشعورية هي نفس النزعة التي يفتش عنها بين الآخرين تحت المنظار المكبر . وبعبارة أخرى فإنه يلصق ما به من صفات لاشعورية بغيره ، ثم يأخذ على عاتقه محاربة هذه الصفات والتنكيل بها في الغير . ونلاحظ أن الصراع يصير خارجيا بدل أن يكون داخليا ، فبدل أن يكون صراعا بين الشخص وبين نزعته إلى عدم الأمانة ، يصير صراعا بينه وبين هذه النزعة الموهومة عند سائر الناس . ومعظم الأشخاص الكثيري الشك في غيرهم بدرجة غير عادية ، من هذا الطراز الذي يصل العقل فيه إلى تخفيف الضغط الداخلي من طريق الاصباق . وكلنا يعرف أن الرجل الذي تطرف في التمتع بحياته في الشباب ، يصبح زوجا غيورا غيرة زائدة عن الحد ، ويتطرف في الشك في كل حركة أو لفظة .

٦ - (الامتصاص) (٢) :

ذكرنا كيف أن إملاء العالم الخارجي ينتقل إلى الذات ويصبح داخليا ، وهو ما ينشأ عنه الصراع ثم الكبت ، وهنما الانتقال للنزعة من الخارج إلى الداخل يطلق عليه اسم الامتصاص .

والطفل يمتص عن أبيه ، ثم عن غيرهم من الأشخاص الذين يحلون محلهم . والمبادئ الخلقية والاجتماعية تدخل العقل عن طريق الامتصاص ، كما أن الأنا العليا تتكون عن هذا الطريق .

والتقليد والمشاركة الوجدانية والاستهواء عبارة عن نتائج للامتصاص والامتصاص نتيجة للحيلة التالية وهي "الاندماج" .

٧ - (الاندماج)^(١)

عندما تقول اندمج المثل في دوره ، نقصد أنه قد نسي شخصيته الأصلية ، وأصبح يتكلم بلسان الدور الذي يمثله . ويحدث في الحياة العقلية مثل ذلك تماما . فالطفل حينما يمتص صفات الأبوين إنما يندمج فيهما عن طريق نشوء الأنا العليا ، ويصبح كما لو كان يقوم فعلا بما يقوم به الأبوين من الرقابة والتوجيه والنقد . ويحدث الاندماج بعد ذلك بالنسبة لأفراد يقومون مقام الأبوين كالمدرسين والرؤساء والزعماء ومن اليهم ويحدث الامتصاص نتيجة للاندماج .

٨ - (الإعلاء)^(٢)

الإعلاء نوع خاص من الإبدال رأينا أن نفرد له بندا خاصا لأهميته ، ويتميز بأن هدفه ذو قيمة اجتماعية وثقافية خاصة ، إذ تقرب الطاقة الفريزية فيه من طبيعتها الجنسية^(٣) ، وتوجه نحو غايات وأغراض عليا لا يوافق عليها المجتمع حسب ، بل يمدحها وينظر إليها نظرة إعجاب واحترام . ونتيجة لذلك أن يصبح الشخص "مفرما" بالأدب ، أو الفن ، أو الموسيقى ، أو غير ذلك من نواحي الإعلاء . والإعلاء تعبير عن النزعات الفريزية في مستوى أعلى من مستواها "الفطري" . ويبدأ الإعلاء من الوقت الذي يجد الطفل فيه أن هناك سيلا رفيعا محمودا يوافق عليه المجتمع ، ويستطيع هو أن يوجه إليه الطاقة الفريزية المكبوتة ، فيجد في ذلك نوعا جديدا من الإشباع لا عهد له به من قبل ، إشباع ناتج عن تحقق غرضين (الأول) التمير الرضوي عن الغريزة بطريقة منتجة و (الثاني) الحصول على رضا المجتمع ومحمدته

والإتجاه إلى الإعلاء يحدث تدريجا ، وتوقف على ما يصادف الطفل من نواحي النشاط والعمل التي يجد فيها السبيل لتحقيق غرضه ، كما يتوقف على قدر من الكبت^(٤) يفرض الغريزة باختيار هذا المجرى البديل ، ولكنه يتوقف أيضا

(٢) Sublimation

(١) Identification

(٤) Flugel : Psychoanalysis

(٣) Becomes De-sexualized

على شئ من الرفق في المعاملة ، والتوجيه الودى من المحيطين بالطفل ، لأن الإعلاء ظاهرة اجتماعية في وسائلها وفي نتائجها .

وأهمية الإعلاء بالنسبة للجنس البشرى في مجوعه ، أهمية كبيرة جدا ، فلولم يكن للفريزة هذه القدرة على الارتفاع من مستواها الحسى ، لبقى الانسان قريبا من مستوى الحيوان ، وانما أمكن له أن يرفع مستواه الثقافى والاجتماعى والاخلاقى . . . الخ ، لأن غريزته قابلة لهذا النوع من التحول . وتحول الغريزة في حالة الإعلاء تحول ممتاز بالسلاسة والسهولة ، وتقل فيه أو تنعدم تماما ، مظاهر الحرمان والصراع ، التى تتعلق بأنواع الإبدال الأخرى ، فكان الغريزة تجد في المجرى الذى حدث فيه الإعلاء ، بديلا كافيا عن مجراها الأصيل . ولو صححت نظريات التحليل النفسى فان التقدم والحضارة الانسانية ما كانا في الامكان لولا هذه النزعة للإعلاء ، فقد ظلت النزعات الفطرية البدائية للانسان الأول تتطور ببطء خلال الأجيال حتى تمخضت عن نواحي النشاط المعقدة والراقية التى نلمسها في الجماعات المتمدينة الراقية .

ويتميز الإعلاء عن سائر أنواع الإبدال بميزات أخرى — فأنواع الإبدال الأخرى مرضية (١) في طبيعتها إذ تظهر على شكل "أعراض" (٢) في المرض العصبى . أى أن الطاقة الغريزية الأصلية تحيد عن طريقها الأصيل وتوجه إلى أحداث هذه الأعراض ، وذلك يشبه تماما ما يحدث في حالة الإعلاء مع فرق واحد وهو ان الإعلاء يتضمن قيا خلقية وثقافية واجتماعية — وهذا الفرق خلقى واجتماعى وليس نفسيا . فهل هناك فرق نفسى بين الإعلاء وسائر أنواع الإبدال ؟ الواقع أن النظرة العميقة ترينا فرقا أساسيا بين النوعين : فالأعراض العصبية تبدو عليها آثار الصراع واضحة ، فكل عرض عصبى هو حل وسط "حل ناقص" (٣) للصراع ~~و~~ كل حل ناقص لا يؤدى إلى اشباع أى من فريقى الصراع ، فيبقى مظهر الحرمان ، ويبسود الحل الناقص مصطبغا بهذا المظهر ،

(١) Pathological

(٢) Symptoms

(٣) Compromise

ومظهر الحرمان وما يصحبه من قلق من مميزات الأعراض العصبية . فالقوى
الكابتة والنزعات المكبوتة تظل في حالة غليان دائم لأن الحل "الأعراض العصبية"
لا يشبع أيا منهما اشباعا كافيا .

فالأعراض تعبر عن الرغبات المكبوتة تعبيرا رمزيا أو وهميا ولكنه غير منتج
من الوجهة الواقعية، وذلك كما في أنواع الهستيريا سواء منها ما كانت أعراضه
عقلية صرفة كالقلق العصبي أو جنائية أو حسية كما في أنواع الهستيريا
"التحولية" (١) أما في حالات "الحُصَّار" (٢) فإن الأعراض تعبر عن القوى
الكابتة .

ومن قبيل النوع الأول من الأعراض: الشاب النجول المتزوي "الذي يغلب
عليه كبت النزعات" فإننا كثيرا ما نجده في معاملاته خشنا حافا مع الآخرين،
وفي هذا الجفاف والحشونة تنفيس أو تعبير عن الناحية المكبوتة فيه وتعويض
عن النجمل والآنزواء المتمكين منه .

ومن قبيل النوع الثاني من الأعراض: الفتاة العانس التي تزيد امعانها في تعذيب
نزعاتها الجنسية المحرومة فتحرم على نفسها الفكرة واللفتة والحركة التي قد يسم منها
ولو من بعيد رائحة الجنس ، وتتصرف كما لو كانت تشك في نوايا نفسها ،
ونوايا غيرها وبذلك تكون القوى الكابتة عندها هي التي تتحكم في تصرفاتها
وتتصح في أن تعبر عن نفسها .

كل هذه المظاهر للصراع والكبت نجدها في الأعراض المرضية ولكننا لا نكاد
نجدها في الاعلاء .

فالسوك في حالة الاعلاء يمتاز بسلاسة وانسجام لانجدهما أبدا في حالة الابدال
المرضى ، فكأن الاعلاء قد حول الطاقة العصبية إلى مجار أكثر استقرارا ، ليس بها
من عوامل الاحتكاك أو عوائق السير إلا أقلها

(١) Conversion Hysteria

(٢) Obsessional neurosis

وكان المجرى الذي حدث الابدال فيه كما قلنا "بديل كاف" للمجرى الغريزي
الأصلي — بمعنى أنه يؤدي إلى اشباع حقيق — ولا شك أنه اشباع من نوع
آخر، ولكن تبقى له صفة الكفاية كالأشباع المباشر الأصلي .

ولا شك أن الأفراد حينما يتابعون لذاتهم البديلة (الأدب — الفن —
الموسيقى — الخ) إنما يتابعونها بشغف يذكروا في كثير من الأحيان بما
يشعر به المستمع بأذنه جسمية مباشرة .

فالطاقة الجنسية (أو القوة الدافعة الجنسية) تتجرد في الاعلاء كما قلنا من
مميزاتها الجنسية ، وتحميد متجهة نحو غاية لا جنسية ، ولكنه يندر أن يحدث
حيود في الطاقة الغريزية بصورتها النهائية بمد تمام نضجها ، أي في سن البلوغ وإنما
يكون الحيود في مكونات الغريزة (١) كما سنشرحها فيما بعد (٢) .

ويتضح مما تقدم أن المؤلف السوي الذي يرمى إليه النمو العقلي في نظر أصحاب
التحليل النفسي هو الاعلاء . وهو هدف يتضمن الصحة العقلية للفرد ، والتقدم
الثقافي والاجتماعي للمجتمع . ولكن يتضح علاوة على ذلك أن حدوث الاعلاء
ليس أصرا هينا ، وأنه يحدث بخطوات بطيئة وتدرج ويحتاج إلى الصبر
الطويل ، أما التسرع في الحصول على النتائج سواء من جانب الفرد أو المجتمع ،
فهو المشغول الأسامي عن أنواع الأمراض العصبية المختلفة . ولكي نحصل
على أكبر قدر ممكن من الاعلاء نجد من الضروري أن نأخذ أنفسنا بالهواذة
لا بالقهر ، وأن نحتمل من مطالب الفرائز البدائية في الأطفال أكثر مما نحتمل
في الوقت الحاضر ، حتى نسهل لعقولهم أن تسير في طريق السلاسة والنمو
المنسجم الذي يؤدي إلى الاعلاء .

~~والاعلاء عملية لا شعورية ولذلك فهي ليست تحت رقابتنا المباشرة ، وليس~~
في قدرتنا أن نسيرها كما نسير الآلة ، وكل ما نستطيعه هو أن نهئ الوسائل التي
نأخذ بيدها على الانسى أن العملية عملية تطورية تدريجية . ولا شك أن
للاعلاء قيمته الفردية والاجتماعية . وموضوع الاعلاء أحد الدروس القيمة التي
يستفيد منها التحليل النفسي كل من المربي والمصالح الاجتماعي .